

الفصل الخامس

العلاقات السياسية والعسكرية والثقافية بين امارات المغرب والاندلس

1- المدراية :-

من المؤسف اننا لا نملك معلومات وفيرة ومفصلة عن مساهمات المداريين في الحركة الثقافية والعلمية اذ قورنت بما نعرفه عن الرستميين ولعل السبب على اكثر الاحتمال ، انه لم يتبق من آثارهم الفكرية ما يجعلنا نأتي بكثير من التفاصيل والمعلومات المهمة ، حيث تعرض اكثره الى التلف والاهمال ، لكن هناك ما يشير الى اهتمام المداريين في عقد حلقات درس العلوم الاسلامية او الاجتماعيات لتعليم ولتدريس العلوم سواء الديني او علوم اللغة العربية او العلوم العقلية او ما يشير الى وجود مهنة تعليم الصبيان وتأديهم في مدينة سلجاسة .

2- الرستميون :

نهج الرستميون في علاقاتهم مع امويي الاندلس سياسة ودية ربما اوجبتها الضرورة السياسية بتوطيدي العلاقات بين تاهرت وقرطبة اذ يتعرض الطرفان لعداء القوى السياسية المتمثلة بدولة الاغلبة ودولة الادارسة ، ومن ثم التقى الطرفان حول مصالحهما السياسية المشتركة

”

ويذهب بعض الكتاب الى ان العلاقات بين تاهرت وقرطبة ، قد بلغت حد التحالف السياسي الرسمي في حين لم تتعد العلاقات بين الطرفين صلات الود وتبادل السفارات والهدايا ، كما قامت علاقات تجارية فكانت السفن تتردد بين وهران والمرية حاملة المتاجر والعلماء والمسافرين ، واستقبلت حاضرة الرستميين تاهرت كثيراً من اهل الاندلس حتى انهم اصبحوا جالية اندلسية كبيرة فيها .

ويتفق اغلب المؤرخين ان العلاقات بين اموي قرطبة واصحاب تاهرت ما كانت اكثر توطداً الا بعد تأسيس تاهرت مركز الرستميين السياسي والحضاري يعد ، استعانة الرستميين بالمهندسيين ومن لهم خبرة بانشاء المدن ومهما يكن من امر ، فإن تردي العلاقات بين الدولتين الرستمية والأموية تاهرت وقرطبة وعنادت العلاقات التقليدية بين الطرفين ووصلت البعوث الى تشير اليها بعض المصادر ، لم تكن الا لفترة قصيرة فقد زالت الحفوة بين

تاهرت وقرطبة، وعادت العلاقات التقليدية بين الطرفين ، كما اتخذ بعض الامراء الاندلسيين الوزراء والحجاب من البيت الرستمي وبظهور الفاطميين على المسرح السياسي تعرضت القوى لسياسية جميعها الى التهديد الفاطمي ، سواء في المغرب او في الاندلس ، لذا استوجب القيام بعمل مشترك بين تاهرت وقرطبة لانتقاء هذا الخطر الذي بات وشيك الوقوع ، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، فقد سقطت الدولة الرستمية سنة 297هـ / 909م بيد الفاطميين ولم يبق حكام قرطبة لنجدتهم .

3- الادارسة :

كانت العلاقة مع الادارسة متأرجحة ؛ لأن الإمارة الادريسية تدور في فلك السياسة الفاطمية مرة والاندلسية مرة أخرى ، وهي تتحازر في ولائها ولانها للأقوى فقد قطعوا الدعوة للأمويين وقاموا بثورة سنة (361هـ) .

ترك الادارسة أثراً واضحاً في الحياة الثقافية ، ليس في المغرب الأقصى فحسب بل في جميع انحاء المغرب العربي الاسلامي ، فلم يمض وقت طويل على قيام دولة الادارسة ، حتى برزت مدينة فاس واصبحت مركزاً للثقافة والفكر يشد اليه العلماء وطلبة العلم ومريدوه ، الرحل من جميع انحاء العالم الاسلامي .

لقد تلقت مدينة فاس في عصر الآدارسة ، تأثيرات علمية وفكرية وثقافية وحضارية مادية مزدوجة من بلاد الاندلس ومن القيروان في الوقت نفسه ، فالمدينة كانت تتألف من عدوتين ، واحدة للاندلسيين واخرى للقيروانيين او القرويين ، وكان اهل كل من هاتين العدوتين ، قد نقلوا كثيراً من تراثهم العلمي والفكري الى مستقرهم في فاس . ولا تخفي الأهمية التاريخية لكل من القيروان والاندلس وعاصمتها قرطبة ، وخاصة من الناحية العلمية والحضارية ، حيث ان كلاً من القيروان وقرطبة مركزان بارزان في سعة العلم والثقافة ان الوافدين من الاندلس ، نزلوا بعدوة الاندلس وهي قسم من مدينة فاس ، ان الادارسة وضعوا الأسس الكفيلة ، لكي تصبح حاضرتهم مركزاً لعلم القيروان وقرطبة ، وذلك بعد تأسيسها بزمن قصير .

4- الإغالية :

اتخذت علاقات بني الاغلب منذ قيام دولتهم مع الخلفاء العباسيين طابعاً ودياً أتمم باستمرار صلات التحالف ، وهو امر اقتضته طبيعة العلاقات بين الطرفين . وكان تولي

الامراء الاغالبية لولياتهم قد استلزم عهد بالولاية (التقليد) من الخلافة في مقابل التبعية الاسمية لها ، وعموماً فان العلاقات في الظاهر اوجبتها الضرورة السياسية ، وحرصت ان تكون على نمط واحد في جميع العهود ، أن الاغالبية يفضلون الابتعاد عن مناجزة اية قوة سياسية او مناهضتها والاحجام عن انكاء او تشجيع ما يؤدي الى الخصومة والعداء ، واثروا حياة الهدوء والموادعه ولكنهم لم يعدموا ازاء الضغوط العباسية وسياسة التبعية من وجود عملاء وصنائع لهم في الدول التي تقف منهم موقفا عدائيا فيحملون على مناهضة الكيانات القائمة لإسقاطها مثل الرستميين والادارسه وبنو مدرار وأموي الاندلس .

ومن الواضح ، ان الاغالبية بكونهم اداة الخلافة العباسية وعمالها في افريقية ورمزا لنفوذها الوحيد في جميع بلاد المغرب ، فأنهم يعجزون في كثير من الاحيان عن تقديم صورة بلون آخر ، لمواقفهم وعلاقاتهم مع القوى والفئات والعناصر الاخرى، وذلك لأن هذه القوى قد تأصل عداؤها للعباسيين

-الاحوال الفكرية والثقافية العلمية للأغالبية:

يتجلى اثر لأغالبية الثقافي والعلمي طوال مدة حكمهم لأفريقية وصقلية الذي استغرق القرن الثالث الهجري ، فيما تركوا من بصمات واضحة في الحركة الثقافية والعلمية ، غير ان اكبر مآثرة تركها الاغالبية في تاريخ الحضارة العربية والفكر الاسلامي ، هو تحريرهم لجزيرة صقلية ان عهد الاغالبية كان يتسم باتاحة الحرية الفكرية والثقافية والحق يمكن الافادة هنا ان القيروان في هذه الفترة اضحت من كبريات مدن العلم والثقافة ليس في المغرب فحسب ، بل في جميع انحاء العالم الاسلامي ، فقد استقطبت اليها العلماء والمدرسين . كما كان يفدها طلبة العلم سواء من المشرق من بغداد ودمشق ومصر او من حواضر المغرب من تاهرت وسجلماسه وفاس وقرطبة.

5- الفاطميون :- بقيت علاقات الأندلس مع الفاطميين يسودها العداء ؛ لان الخلافة الفاطمية في المغرب كانت تنافس الخلافة الأموية في الأندلس من أجل السيطرة على المغرب من خلال الصراع القائم بين قبيلتي صنهاجه وزناته ؛ إذ تمكنت صنهاجه ممثلة بالإمارة الزيرية من السيطرة على النصف الشرقي من المغرب، أما القسم الغربي منه والذي يمتد من نهر الملوية الى طنجة فقد سيطرت عليه زناته حليفة الأمويين وبذلك حصل

التوازن بين القوى المتنافسة ، وقد قام الجواسيس بدور كبير في الدعاية للفاطميين هناك ، كما امدوهم بمعلومات هامة عن الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيها اللازمة لهم لوضع خططهم لغزوها ، وبالمقابل قامت الخلافة الأموية بتحسين الثغور الأندلسية الجنوبية تحسباً لأي هجوم مفاجئ كذلك اهتموا بالبحرية (الأسطول الأندلسي) ليقف على قدم المساواة مع الفاطميين الذين ورثوا بحرية قوية عن الأغلبية .

استمرت الهجمات المتبادلة بالأساطيل بين الطرفين مدة طويلة بين الأسطول الأندلسي والاسطول الفاطمي ، وكانت النتيجة سجالات بينهما الى أن رأى الفاطميون العدول عن الاستيلاء على الأندلس والعمل على فتح مصر سنة (362هـ)

لقد تميزت الحركة الثقافية والفكرية التي ارسى الفاطميون اسسها في بلاد المغرب ومصر بالعمق والشمولية ، فقد تعهدوها بمستلزمات النمو واثروها باستيعاب علمائهم ونضجهم واهتمام خلفائهم بالاشتغال بالعلوم والفنون والمعارف ، فقربوا العلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين والقراء وشيدوا القصور التي اصبحت ميدانا لتجمع العلماء والفقهاء يتنافسون ويتناظرون ويتطرحون في العلوم الدينية واللغة والشعر ، اما المساجد فقد كانت بمثابة مراكز للعلماء والقضاة والوزراء يحاصرون الناس في العقائد والفقهاء فلا غرو ان يتحول الجامع الازهر الذي كان في بدايته يقتصر على اقامة الدعوة للفاطميين الى جامعة سنة 378هـ تدرس فيها العلوم والآداب . كما دأب الفاطميون على تأسيس المكتبات التي كانت تحوى على مئات الالوف من المصنفات

ويبدو ان مكتبات الفاطميين كانت تتفرد باقتناء كتب لم يكن لها وجود في المكتبات الأخرى مثل قرطبة او دمشق او اي مركز حضاري في العالم الاسلامي.